الافتتاحية

مستمرّان

بعد «نداء الآداب» لم يتغيَّر الكثير على الصعيد الماديّ.

فلم تزد اشتراكاتنا الحكوميَّة إلاَّ قليلاً (أقلّ من خمسين).

ولم تتخطَّ الاشتراكاتُ الفرديَّةُ الإضافيَّةُ المئةَ والستّين، وأكثرُها جاء نتيجةً لتوسُّط مشتركين قدامى أو لإهدائهم اشتراكاتٍ لأصدقائهم. وهم في الحالين مشكورون، ومصدرُ اعتزاز كبير لنا.

ولكنَّنا في مجال المجموعات الكاملة من المجلّة، تمكّنا من بيع أكثر من إحدى عشرة مجموعةً إلى أفراد ومؤسسات وجامعات في لبنان وأبو ظبي والكويت وبريطانيا والولايات المتحدة؛ وهو ما ضمن لنا استمرارَ الآداب عامًا كاملاً. ويَجْدر هنا إجزاءُ الشكر إلى جهتَيْن، قدَّمت الأُولى ألفَ دولار وقدَّمت الثانيةُ ألفيْ دولار، على سبيل التبرُّع.

إذن، المجلة مستمرّة، عامًا بعام. وخطرُ التوقُّف واردٌ عند نهاية هذا العام، وكلِّ عامٍ يليه، ما دامت الاشتراكاتُ والتبرُّعاتُ قليلة.

كنّا نراهن على قدرة المجلّة، بعد ٤٩ عامًا من خدمة المواطن العربيّ، على الاعتماد على القارئ والطالب والأستاذ، لا على «دار الآداب» بشكل أساسيّ وطاغٍ، كي لا تَبْقى المجلَّةُ أسيرةَ تقلُّبات السوق النشريَّة شهرًا بعد شهر. فخسرنا الرهان.

وفَشِلَ رهانُنا في أن يبادر المثقفون إلى حَمْلة ضغطٍ على وزارات إعلامهم وثقافتهم وجامعاتهم ومدارسهم، أو أن «يتنادوا» و«يتداعوا» (وهاتان من كلماتهم الأثيرة) لعقد مؤتمرٍ يَدْعم استمرار الآداب، أو أن يشكِّلوا لجانًا لتأمين الاشتراكات.

وها نحن مجدَّدًا أمام «قجّة» دار الآداب، التي ليست دائمًا سلّةَ السيِّد المسيح عليه السلام!

وأمَّا على الصعيد المعنويّ فكان لـ«النداء» أثرٌ طيِّبٌ في تشجيعنا على الاستمرار في إصدار المجلّة إلى ما بعد الرمق الأخير. ونحن نَشْكر كلَّ مَنْ كتب في موضوع احتمال توقُّف الآداب، ونخصّ بالشكر المُنْتقدين لأنَّهم ـ وبعضُهم من دون قصد ـ ساعدونا في تحسُّس مواطن العلل والنقص. فحاولنا قَدْر المستطاع استدراكَها خلال العام الماضي، ونَعِدُ بالمزيد خلال الفترة المقبلة؛ ورُبَّما ما كان لنا أن نَفْتح أذنيْنا جيّدًا لانتقاداتهم لو كنّا في موقع القوّة الماديَّة والمعنويَّة. وكانت الثمرة الأُولى لمثابرتنا وتجديدنا (وهي ثمرةٌ يعود فضلٌ كبيرٌ فيها إلى دخول كيرستن شايد في المعمعة) أنْ فُزْنا بمنصب أكثر المجلاّت مبيعًا في أكبر معرض للكتاب العربيّ في لبنان، وهو معرض النادي الثقافيّ العربيّ (٢ ـ ١٨ تشرين الثاني ٢٠٠١ في أكسبو بيروت)، متخطّين جميعَ المجلات الثقافيَّة الأخرى بلا استثناء، بما فيها تلك التي شَحَذتْ سكينَها لذبحنا حين كَبَوْنا أَوْ حاولتْ إيهامَ القارئ أنَّ مشكلة مجلتنا «فكريَّة» لا ماديَّة.

وكانت الثمرة الثانية لمثابرتنا وتجديدنا أن حظيتْ أعدادُنا الأخيرة بإقبال شبابيّ لافت، وبتغطيةٍ صحفيَّةٍ لم تَشْهدها مجلّةٌ عربيَّةٌ من قبل.

خلاصةُ الأمر أنَّ الآداب مستمرّة بقدر المستطاع... ولكنّ نداءها مستمرٌّ هو أيضًا، حتى لو لم ننشرْه في نهاية كل عدد. فالتصميم قويّ، ولكنّ الأزمة قويَّة أيضًا: قراءةً، ورقابةً، وتسويقًا، وتوزيعًا... وتمويلاً بالطبع.

ويبقى أملُنا الأخير ـ ونأمل ألاَّ يكون ضئيلاً ـ في «حزب» الآداب: أنصارِ خطّها الإبداعيّ، والديموقراطيّ، والقوميّ العربي المتجدِّد، والرافض. وهؤلاء ليسوا قلّة، وليسوا كلُّهم منتوفين معدومي العافية ـ ولكنَّهم مشتَّتون مبعثرون، وبعضُهم يكاد يَفْقد الأمل في أيّ نهوض ثقافيّ أو قوميّ.

سماح إدريس